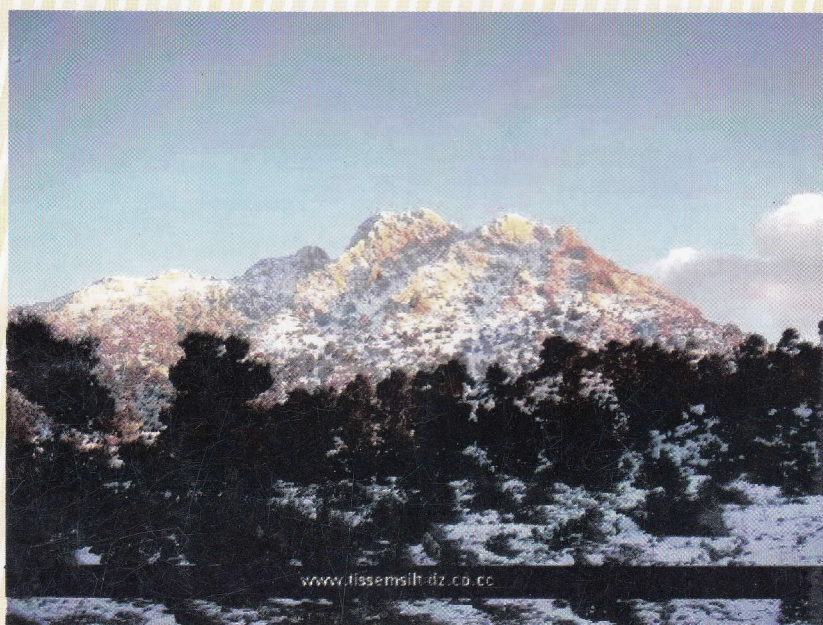


المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي تيسمسيلت



العدد : 02 - ديسمبر 2010

منشورات المركز الجامعي بتيسمسيلت-
الجزائر

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي تيسمسيلت



العدد: 02 - ديسمبر 2010

منشورات المركز الجامعي بتيسمسيلت-
الجزائر

المعيار



مجلة دورية محكمة تصدر عن

المركز الجامعي تيسمسيلت

تعنى بالدراسات الأدبية والقانونية والاقتصادية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية.

العدد الثاني ديسمبر 2010

رئيس المجلة

د. الطيب بن جامعة

المدير المسؤول

رئيس التحرير

د. محمد بلحسين

أ. رشيد مرسي

رئيس هيئة التحرير

أ. بشير دردار

هيئة

التحرير

أ. خالد تواتي

أ. خالد روشو

أ. قدوية يعقوبي

أ. دايري مسكين

أ. الحاج لونيس بلخياطي

أ. الجيلالي لعقاب

الهيئة

العلمية

أ.د محمد عباس - جامعة تلمسان -

أ.د مختار حبار - جامعة وهران -

أ.د عبد الجليل مرتاض - جامعة تلمسان -

أ.د محمد بلوحي - جامعة بلعباس -

د. بوسماحة الشيخ - جامعة تيارت -

أ.د شريط عابد - جامعة تيارت -

أ. رابحي عبد القادر - جامعة سعيدة -

د. كبريت علي - المركز الجامعي تيسمسيلت

المراسلات

الأستاذ: رشيد مرسي

المركز الجامعي تيسمسيلت

الهاتف/ الفاكس: 046 49 56 18

البريد الإلكتروني: rachidmersi@yahoo.fr



شروط النشر بالمجلة

- المعيار مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية ، العلمية، الأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.
- دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتيسمسيلت.
- تُقبل البحوث باللغات العربية و الفرنسية و الانجليزية.
- تخضع البحوث و الدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.
- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.
- تُقدم البحوث و الدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس B5 بهامش 2.5 سم عن يسار الصفحة وأسفلها وأعلاها، وهامش 3 سم يمين الصفحة.
- تتم الكتابة بخط (Simplified Arabic) حجم(14)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (12).
- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (Times new roman) حجم (14)، و في الهامش بالخط نفسه حجم (12).
- تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يقبل استعمال التهميش الأوتوماتيكي.
- يُقدم البحث مخزناً في ملفي word و pdf في قرص مضغوط وفي نسخة ورقية مطبوعة عليهما البيانات الضرورية الخاصة بالمقال وصاحبه.
- لا يقل حجم البحث عن 08 صفحة ولا يزيد عن 20 صفحة.
- الأعمال المقدمة لا تُردّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، و المجلة غير مسؤولة عن آراك وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية و فنية.

المدير المسؤول عن النشر

محتويات العدد

• كلمة

• مقالات اللغة والأدب العربي

- 09.....إشكالية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.
- 20.....منحنيات السؤال الإبداعي في ديوان (توشيحُ الذَاكرة) للشاعر مجدوب العيد المشراوي.
- 33.....إشكالات النص المترابط.....
- 54.....التأويل وأثره في نشأة الفرق.....
- 73.....الشُّروحات المجازية في مُعجم أساس البلاغة دراسة في المنهج والمحتوى.....
- 88.....مستويات اللّغة الصوفية عند محي الدين بن عربي.....
- 101.....الهاجس الإبستمولوجي في رسائل الجاحظ.....
- 124.....الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية..في النشأة والتطور.....
- 143.....سمات القصيدة المعاصرة.....
- 163.....البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري.....

• مقالات العلوم القانونية والإدارية

- 185.....المركز القانوني للصحفيين أثناء الحروب وحمايتهم من أثاره.....
- 207.....منهج المقارنة بين الشريعة و القانون.....
- 227.....حق الزوجة في التطليق لعدم الإنفاق.....
- 243.....المسؤولية الجنائية الداخلية لرؤساء الدول.....

• مقالات العلوم الاقتصادية والتجارية

- 265.....واقع وآفاق التنمية السياحية في ظل التحديات الراهنة في الجزائر
- 285.....دور تطبيق مفهوم التسويق بالعلاقات في بناء و تدعيم المزايا التنافسية للمؤسسة.....
- 316.....إستراتيجية تطوير المنتجات كأداة لتحقيق التميز للمؤسسة

2 1 2



" الإبداع نقد، والنقد إبداع "

أوكتافيو باث

هذه المجلة المعيار

تهفو في عددها الثاني إلى تأسيس رؤيا نقدية وفكرية حول مجموعة من المفاهيم والقضايا والظواهر التي تشكل محوراً إشكالياً في ميادين أدبية واقتصادية وقانونية وفكرية.

كما تحاول تجاوز الطروحات السابقة بآليات ومفاهيم تتماشى وطبيعة التحول والمغايرة، والاستمرارية الزمنية، وما تفرزه من مفارقات معرفية وفكرية. في شتى الميادين.

لذلك فإن **المعيار** تفتح أفقها للنقاد والباحثين للمساهمة في إثراء مدونتها النقدية والفكرية.

د. بلعسين محمد

البعد الإنساني في شخصية الأمير عبدالقادر الجزائري من خلال كتاب (حياة الأمير عبدالقادر) لـ شارل هنري تشرشل ترجمة أيى القاسم سعد الله

مؤسسة العربية
جامعة وهران



إن الحديث عن شخصية الأمير عبدالقادر يأخذ أبعاداً شتى، واتجاهات متعددة ، فهو العالم الفقيه، والزاهد المتصوف؛ والشاعر الفارس، والزعيم السياسي، والقائد العسكري، ومؤسس الدولة الجزائرية الحديثة على أسس الدين الإسلامي الحنيف، فهذه الجوانب مجتمعة هي التي أعطت لهذه الشخصية بعداً إنسانياً عالمياً، جعل قادة الفكر والشعوب أنذاك يعترفون له بالفضل والمزية في الكثير من القضايا والمواقف التي خاضها، ويجلون له إكباراً لشخصيته وقوة تأثيره، فما هي يا ترى العوامل التي تضافرت في بناء هذه الشخصية؟

إن الإجابة عن ذلك تقتضي من الباحث تمعن حياة الأمير عبدالقادر منذ نشأته إلى وفاته، وذلك أمر صعب غير أنه ليس بالمستحيل، ولكن يكفي أن نرصد في معرفة هذه الشخصية معالم كبرى كان لها الأثير البالغ في تكوين هذه الشخصية وهي :

- البيئة التي نشأ فيها والتربية التي خضع لها..

-ثقافته العربية الإسلامية

-تولييه الإمارة وقيامه بالجهاد لتحرير وطنه

-الأحداث الجسام التي واجهها والشخصيات التي تعامل معها سواء من أصدقائه والموالين له والمؤيدين لأعماله أو من أعدائه وناوئيه....

أرى هذه أهم النقاط الجديرة بالبحث في هذا المجال،

ولد الأمير عبدالقادر في قرية القيطنة التي اختطها جده مصطفى بن محمد ابن المختار على الضفة اليسرى لوادي الحمام في منطقة غريس غربي مدينة معسكر من أيلة وهران في بلاد الجزائر⁽¹⁾ يوم الجمعة 13 من رجب سنة 1222هـ، الموافق لـ 26 ديسمبر 1807م، وكانت وفاته يوم الجمعة مساء 19 رجب 1300هـ الموافق لـ 24 ماي سنة 1883م في (دمر) ثم نقل إلى دمشق ليجاور ظهر يوم السبت الشيخ محي الدين بن عربي الحاتمي على سفح جبل قاسيون بالصالحية يجمعهما ضريح واحد⁽²⁾

أما اسم القرية التي ولد بها، فهو عربي أصيل لحقه بعض التحريف في النطق فمادة (قطن) في اللسان العربي تفيد الإقامة بالمكان وتوطنه، وقاطنات مكة وقطنها حمامها المقيم فيها : يقال هؤلاء قطين فلان، أي خدمه وحاشيته، وقطين الله سكان حرمه والقطينة سكان الدار⁽³⁾ فالأصل اللغوي لهذه الكلمة عربي فصيح وله سائر مشتقاته في اللسان العربي ، فلا حاجة إلى احتمال أن تكون التسمية قادمة من الأندلس كما ذهب إلى ذلك محمد السيد محمد على الوزير في أحد أقواله⁽⁴⁾.

وإنما حرفت هذه الكلمة على السنة العامة، فأصبحت (القيطنة) ومنه القيطون؛ لتفيد مكان التجمع إطلاقاً، بعدما كانت تفيد اجتماع الناس لأمر هام.. وأول من اشتهر من أجداده بالعلم والتصوف والولاية هو أحمد بن محمد المعروف (بابن بن خدة) وهي مرضعته وهو حفيد عبدالقوي الحسني، وخلفه ابنه عبدالقادر الذي حاز على العلم وأسس الزاوية القادرية نسبة إلى الشيخ سيدي عبدالقادر الجيلاني، وقد طاف الشيخ عبدالقادر عدة أماكن وجهات، وأقام في قسنطينة وصار شيخ العلماء فيها، وتفرد ابنه السيد أحمد المختار في مجال العلم والتصوف وشدت إليه الرحال من سائر الاقطار لأخذ العلم وتلقي الأذكار..... قال الجوزي (في فتح الرحمن) : السيد أحمد المختار سكن محلة باب علي من مدينة معسكر واتخذ فيها خلوة لعبادة الله تعالى وله منظومة مشهورة سماها (عقد جواهر المعاني في مناقب

الغوث عبدالقادر الجيلاني، ذكر فيها مناقبه وكراماته، وأحوال المشايخ الذين اعترفوا بفضلته، وما زال الخلف من هذه السلالة الشريفة يأخذ عن السلف ويقتدى به في الصالحات إلى أن آلى الأمر إلى الجد المباشر للأمير عبدالقادر السيد مصطفى الذي قرأ على علماء غريس وغيرهم إلى أن برع واشتغل بالطريقة إلى أن صار كعبة الأولياء ومقتدى العلماء، وسار إلى الحج مرتين وارتحل إلى دمشق ومنها إلى بغداد، ولقي العلماء والأولياء بها،

ولبس الخرقة القادرية من نقيب الأشراف ببغداد سيدي عبدالرحمن بن علي سليل الشيخ الرباني سيدي عبدالقادر الجيلاني وأجازه بالواسطة إمام اللغة والحديث نزيل مصر السيد مرتضى الحسيني الزبيدي شارح القاموس، ولما زجع إلى الوطن اختط قريته المعروفة (بالقيطنة) كما سبق⁽⁵⁾.

استمر مصطفى في نشر الطريقة القادرية فأحياها بعد درس، وجددها بعد بلى، فكثر أتباعه ومريدوه، وقصده طلاب العلم والتصوف، وعظمت مكانته في منطقة غريس، وتسامع الناس بأفضاله، شرقا وغربا؛ وغريس يومئذ حافلة بالزوايا ومراكز العلم والثقافة، فكثر فيها حفاظ القرآن الكريم وحمله الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك، وكانت بيت السيد مصطفى واسطة العقد في تلك المنطقة فكثر أتباعه ومحبيه وعظمت مكانته عندهم فاحترمته الخاصة والعامة وآلت إليه أمورهم من حل وعقد، وما زال على تلك المكانة الرفيعة والجناب المهاب إلى أن توفي وخلفه ابنه السيد محي الدين والد الأمير عبدالقادر، فنشأ في طلب العلم وبلغ من المعارف شأوا بز به الاقران ونال إعجاب المحبين وقطع السنة الحاسدين والناقمين، فطبقت شهرته الآفاق وذاع صيته وانتشر أمره بين الناس بما يطيب به ذكره وتعظم همته، وتعلو منزلته، فقصده الناس من مختلف الجهات بالغرب الجزائري خاصة، منهم طالب العلم يريد التحصيل، والعالم يريد الاستزادة والتبصير، وعامة الناس من مريدين وأتباع يستمعون إليه شفاها ويحضرون مجالسه للاستماع إلى دروسه ومواعظه ويأخذون عنه الأذكار ويتبركون به، ويعولون عليه في سائر أمورهم وحل معضلات

مشاكلهم.... فكانت زاويته بالقيطنة محط الأنظار ومقصد الزوار ومركز إشعاع علمي وحضاري ذات أنوار ربانية ونفحات سنية، وجاء بعده ابنه عبدالقادر فنشأه والده تنشئة صالحة ورباه تربية إسلامية مقتديا في ذلك آثار أسلافه، فأخذ الفقه عن والده وعن غيره من علماء منطقة غريس، ورحل إلى وهران في طلب العلم، وأخذ عن علمائها، ووهران يومئذ حاضرة إسلامية بها الفقهاء والمتصوفة والعلماء، فرسخت في علوم العربية قدمه، وحاز من علوم الشريعة ما اشتد به ساعده، وحسن في الدرس مجلسه، ووجد بين الفقهاء مكانه، وازداد علما لما توجه إلى المشرق مع أبيه سنة 1825 حيث توقفا في مصر واستقبلهما محمد علي بحفاوة، وبعد الحج اتجها إلى دمشق وبغداد ثم الحجاز فحجا للمرة الثانية، وحين عادا إلى الجزائر عزل الشاب عبدالقادر نفسه لكي يتفرغ لتحصيل العلم، فقد درس بالإضافة إلى علوم العربية أفلاطون، وفيتاغورس وأرسطو، كما وجه اهتماما خاصا إلى التاريخ والجغرافيا والهندسة والنباتات الطبية، واثناء هذه الفترة جمع الأمير عبدالقادر مكتبة هامة (6)، لاشك أن رحلته هذه إلى المشرق قد ولدت في نفسه شغفا بطلب العلم وتشوقا إلى المعرفة وكأنني به قد اكتشف كنوز المعرفة وينابيع العرفان فأخذ يتزود منها ويعب من صفائها. خاصة وأنه أثناء هذه الرحلة سمع صحيح البخاري من الشيخ الإمام المحدث أبي المحاسن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الكزبري بدمشق، وأخذ أيضا عن الإمام ضياء الدين خالد السهروردي، وكان يكثر التردد عليه فسمع منه علوما شتى في التوحيد والتصوف (7)، وكان اعتناؤه فائقا بالسنة النبوية فحفظ صحيح البخاري وعمل بما فيه إيمانا منه بأن السنة النبوية هي ترجمان القرآن الكريم وبها تتبين الأحكام وتفصل القضايا وتفرع المسائل وعليها مدار الفقه المالكي...

ولقد سمعت من أحد الفقهاء الثقات أن الأمير عبدالقادر كان يطلب ممن يوليه شأنًا من شؤون الدولة أن يضع يده على صحيح البخاري وينطق بالقسم على تأدية الأمانة التي انتمن عليها.

هذه بعض السمات والخصائص التي ميزت تلك المرجعية الثقافية والاجتماعية التي توطر حياة الأمير عبدالقادر قبل توليه الإمارة والقيام بمهام الجهاد، فهو الفتى العربي الجزائري المسلم الميل إلى التصوف والزهد بحكم بينته الدينية وثقافته العربية الإسلامية وهو الفارس الشجاع الذي نشأ في صفاء البادية الجزائرية الساحرة فأخذ منها الخصال العربية الحميدة كالصدق والوفاء والشهامة والفروسية وحب الصيد.

تلك هي شخصية الأمير عبدالقادر التي استقطبت أنظار العديد من الباحثين والمؤرخين والمفكرين والقادة العسكريين والسياسيين من غربيين وعرب، فكتبوا عنه الكثير إنه الرجل الذي تجسدت فيه صفات العبقرية الجزائرية الفذة التي لا تعرف الكلل ولا يستولي عليها الملل ولا يثنى عزمها المصاعب والأهوال، إنها عبقرية الرجل المسلم الذي يؤمن بالقضاء والقدر.....

ولابد من الإشارة إلى المراحل الكبرى التي مرت بها هذه الشخصية فزادتها حنكة وتجربة وهي :

1- فترة الجهاد من (1832- إلى 1847).

2- فترة الاسر والإقامة بفرنسا (1847 إلى 1853).

3- فترة الإقامة بالمشرق (تركيا ثم دمشق) (1853-1883).

كل فترة من هذه الفترات تحتاج إلى وقفة عميقة ودراسة وافية غير أننا نكتفي من كل منها بإشارات مقتضبة تبدو مهمة في تشكيل الابعاد الإنسانية في هذه الشخصية معتمدين في ذلك كله على ما جاء في كتاب شارل هنري تشرشل مع الخروج عنه عند الاقتضاء؛

1-فترة الجهاد : لقد شعر الجزائريون بالظلم والذل والمهانة في ظل الاحتلال الفرنسي لبلدهم، وأن مآل الحكم إلى يد النصارى كان أمرا مرفوضا عند المسلمين وذلك لرسوخ فكرة دينية وهي ألا يتحكم الكفار في المسلمين ؛ وأنه لا يجب على المسلم البقاء في (دار حرب) ذليلا مقهورا لذلك سرعان ما التفت القبائل تحت رؤسائها

وشيوخها طالبين من هذا الشاب عبدالقادر الذي لا يتجاوز عمره وقتئذ الثانية والثلاثين سنة أن يكون رائدهم في جهاد منظم يعيد إليهم مجدهم السالف ويخلصهم من احتلال النصارى لبلادهم؛ وبدأ عبدالقادر يتقبل البيعة من النبلاء والرؤساء الذين تجمعوا حوله متوسمين فيه القائد الشجاع المقدم؛ خاصة وقد رأوا فيه من ضروب الشجاعة ورجاحة العقل وحسن السيرة والقيادة ما جعلهم يلحون عليه في قبول الإمارة فلقب بالأمير، وبناصر الدين، وبأمر المؤمنين، والسلطان وكانت رسائله إلى الجهات وإلى جنرالات فرنسا تحمل هذه الألقاب وربما غلب لقب السلطان على غيره من الألقاب، وانتشرت رسله في مختلف الجهات تحمل رسائله إلى رؤساء القبائل والعشائر تدعوهم إلى المبايعة والطاعة، وتبين لهم الأحوال التي آلت إليها البلاد تحت وطأة النصارى، والأسباب التي أدت به إلى القيام بهذا الأمر، كما وضحت منهجه الذي سيسير عليه ويلزم الناس به: إنه الإسلام شريعة محمد صلى الله عليه وسلم⁽⁸⁾، ومنذ ذلك الوقت شرع في تنظيم الجيوش وبناء قواعد الدولة الحديثة وكان معتمدا اعتمادا كبيرا على بيانه الساحر وقدرته في الإقناع، فهو الخطيب والواعظ (وقد اشتهر بامتلاك القدرة على انتزاع الحب والإعجاب من أتباعه⁽⁹⁾ يخطب في جنوده ويحمسهم على غرار خطب صدر الإسلام، ويوصيهم بما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي به المجاهدين، وبما سار عليه الخلفاء الراشدون بعده، ويبين لهم أن مشروعية الجهاد مستمدة من أنه يهدف إلى دفع الضرر وتحرير الوطن من الكفار، وكان في خطبه وتنظيماته وسائر أموره في الحكم والسياسة يجمع بين أمور ثلاثة جمعا دالا على عبقرية فذة وأخلاق رفيعة وإنسانية عالية، وهذه الثلاثة هي روح الدين الإسلامي ومتطلبات العصر، وما تفرضه عليه الظروف الراهنة، ومن مظاهر إنسانيته الرفيعة ما سجله عنه تشرشل الذي لازمه في دمشق حوالي ستة أشهر (1859-1860)؛ من أنه كان يعامل أسراه معاملة ودية مستلهما ذلك من مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة، لقد أحضر أمامه سجينان فرنسيان فقالا له أيها السلطان إننا نرغب أن نصبح مسلمين وإننا مستعدان أن نعتنق دينك⁽¹⁰⁾، كان بإمكان الأمير أن

يرحب بهذا الاقتراح ويعدّه مفخرة له أمام الناس حوله؛ ولكنه تثبت ونظر إلى الأمر بعُمق، فقد علمه إسلامه أن "لا إكراه في الدين" فلا ينبغي أن يرغم أحد على الدخول في الإسلام، ما لم تكن رغبته تنبع من صميم فؤاده وأن الأسيرين إنما قالوا ذلك خوفاً، لذلك قال لهما : إن أنتما تفعّلان ذلك شعوراً بالخطر أثناء الحالة التي أنتما عليها فإنكما مخطئان فلو ظللتما مسحيين كما أنتما الآن فلن يحدث لكما أي إزعاج ولن تمس شعرة من راسيكما، فكرا فيما سيحدث لكما لو عدتما إلى أهلكما بعد أن تخليتما عن دينكما... وكيف تأملان أن تستفيدا من المناسبة إذا ما حدث تبادل للأسرى؟⁽¹¹⁾ وبدون شك فإن هذين الأسيرين قد مارسا أو شاهدا المعاملة السيئة التي يعامل بها الجيش الفرنسي الأسرى الجزائريين فمثلت في ذهنيهما صور من التعذيب خشياً أن يحاق بهما شيء منها، لذلك قالوا للأمير ذلك الكلام خوفاً وذعراً. ومن آيات التسامح والشهامة التي تحلى بها الأمير عبدالقادر أن سجننا فرنسا صاح في وجهه "أنا لن أتخلى عن ديني" فرد عليه الأمير : هوّن عليك فإن حياتك محرمة علي... إنك رجل شجاع ومخلص وتستحق تقديري، فأنا احترم الشجاعة في الدين أكثر من الشجاعة في الحرب..⁽¹²⁾ ومن مواقفه الإسلامية العالية وإبانه العربي الأصيل قوله لأحد جنوده وقد أحضر أمامه أربع فتيات فرنسيات غنيمه، "إن الأسود تهاجم الحيوانات القوية أما أبناء أوى فتسقط على الضعيف منها"⁽¹³⁾ بهذه الروح الإسلامية الرفيعة التي لا نلمسها إلا عند عظماء البشرية سير الأمير عبدالقادر تلك الفترة التي قضاها في الجهاد ومحاربة المحتلين وكان يلزم أصحابه ورجاله بها، ويعاقبهم إذا ظهر منهم ما يناهى تلك المبادئ السمة التي تنسجم والفطرة الإنسانية الصافية التي جاء الإسلام بتثبيتها وتقويتها فسمي دين الفطرة، قال الله تعالى: "ولقد كرّمنا بني آدم" وقال الرسول (ص) في حجة الوداع "اتقوا الله في الضعيفين المرأة واليتيم".

إن الأمير عبدالقادر من الشخصيات العظيمة بحيث لم تستول عليه أريحية النصر ولم يملكه الإعجاب بالنفس وهو في أوج قوته وانتصاره ولم تحدّثه نفسه بالغدر أو الاحتيال أو نقض العهد أو خلف الوعد؛ وقد كان يلتزم بسائر بنود الاتفاقيات

والمعاهدات التي يبرمها مع عدوه؛ ولا يستأنف الحرب إلا إذا كان النقص أو الإخلال بالشروط المتفق عليها صادرا من عدوه بالأدلة الواضحة والأخبار الدقيقة، واتفق أن بعض الفنيين الفرنسيين وقعوا معه عقودا بإذن الحاكم العام للقيام ببعض الأعمال داخل المناطق التي كانت بحوزته، وكان الاتفاق ينص على أن يأخذ كل واحد منهم 3000 فرنك، لكن الهدنة انتهت والحرب استؤنفت والأعمال المتفق على إنجازها لم تتم فكلف الأمير من يحميهم ويرافقهم إلى مأمئهم ووفاهم أجورهم من غير أن يتموا عملهم⁽¹⁴⁾.

ومن تسامح الأمير عبدالقادر أنه كان يعطف على الأسرى ويطعمهم ويقوم بشؤونهم، ويسرحهم أحيانا من غير فدية أو مقابل، وهذا ما حدث مع الأربعة والتسعين أسيرا فرنسيا كانوا في معسكره، واتفق أن مرت عليه ظروف صعبة للحصول على الغذاء فأبى أن يحتفظ بهم، وهو غير قادر على القيام بما توجبه عليه إنسانيته نحوهم من أكل وشرب وغير ذلك، فأطلق سراحهم جميعا بل كلف من يصحبهم إلى المراكز الأمامية، وما زال الأمير يهتم بالأسرى ويأمر بحسن معاملتهم إلى أن صدر قراره إلى سائر خلفائه ومن هم تحت إمرته يخبرهم فيه بأنه خصص جائزة لكل من يحضر جنديا فرنسيا أو مسيحيا آمنا سالما وتضاعف الجائزة إن كان الذي أحضر أنثى، وكل عربي في حوزته فرنسي أو مسيحي فإنه يعتبر مسؤولا عن حسن معاملته، وهو مأمور أن يقود سجينه إما إلى أقرب خليفة وإما إلى السلطان نفسه، وإن لم يفعل ذلك فإنه يواجه أقسى العقوبات، وأما إذا فعل فإنه ينال الجائزة الموعودة⁽¹⁵⁾.

لقد استمد الأمير عبدالقادر أسس تسيير دولته في السلم والحرب من مبادئ الدين الإسلامي الذي وضع للحرب شروطا قيدها بها، وجعل الغاية منها السلام والعدل فالحرب -الجهاد- في الإسلام ليس هدفا في ذاته ولا وسيلة لتحقيق أهداف اقتصادية أو سياسية أو هو بدافع الهيمنة والاستيلاء وتحقيق الشهرة وإنما هو دعوة إلى حياة قوامها الدين والإيمان، فالحرب في المنظور الإسلامي "وسيلة إقامة

المجتمع الإسلامي الجديد، ومن خلال هذا الهدف المحدد بقيت غاية السلم هي المهمة على الأعمال القتالية" (16).

والضباط الفرنسيون يعرفون الكثير من مواقف الأمير عبدالقادر الجليلية وأعماله الباهرة كما يعترفون بشجاعته الخارقة وبطولته الفذة لذلك ما إن أرسل الأمير إلى الجنرال لامورسيار يعرض عليه توقيع الحرب، حتى بادر لامورسيار إلى القبول وفق ما يرضي الأمير من شروط ولما انتقد بعد ذلك في مجلس النواب الفرنسي قال : (هل تدرون ماذا كنت سأسر لو تابعت الهجوم؟ كنت سأسر قافلته، كنت سأقوم بغارة لا أكثر وكنت سأخبر بعد ذلك بأنني أسرت خيمة عبد القادر وزريته وحريمه، وربما خليفة من خلفائه، أما هو وفرسانه فيكونون قد انطلقوا إلى الصحراء." (17)

ولقد أحس القادة الفرنسيون بأنهم أمام رجل صلب شجاع وفارس مقدم ومسلم مستقيم "فاضطروا إلى التراجع وأرغموا على عقد معاهدات معه واعترفوا بأنهم إزاء ملك عادل ومسلم مؤمن وفارس كريم، اضطر أحد القواد الفرنسيين أن يواجه الأمير في إحدى المعارك وهو راجل بعدما صرع فرسه فلما شاهده الأمير أرسل إليه جوادين من أكرم خيله ووجه إليه حديثه قائلاً : إن من قلة المروءة أن فارساً مثلي يحارب راجلاً مثلك." (18)

وفي المقابل نجد وحشية الجيوش الفرنسية لانظير لها في الجزائر فإن المعارك التي خاضها الضباط الفرنسيون في الجزائر لم يراعوا فيها أي قانون ولا إنسانية إنهم وحوش ضارية أرسلتهم فرنسا لينقضوا على هذا الشعب الجزائري فيبيدوه إبادة أبدية، ولقد أورد روجي قارودي في كتابه (حوار الحضارات) وقائع حقيقية تبين نوايا الاستعمار من خلال أعماله الفظيعة في الجزائر، فبناة الإمبراطورية الفرنسية (الجنرالالات) ومهندسو سياستها التوسعية جاءوا إلى الجزائر لتدمير البني التحتية لهذا الشعب وإحاقه هذا الوطن بفرنسا الأم كما كانوا يقولون، فشرعوا في القتل والحرق والتخريب وسلب الأموال والثروات "والحادث الجديد هو أن الإدارة الاستعمارية

للدول أمست بسرعة أداة بين الشركات الخاصة تفيد منها في تحقيق الاستغلال الاقتصادي الأعظمي بفضل الشرطة والجيش والمحاكم والإدارة بجملتها وهذا الجهاز القمعي كله ينهض بدور كلب حراسة الرأسمال⁽¹⁹⁾.

ويمضي قار ودي في حديثه عن أهداف غزو الجزائر عسكريا غداة إنزال الجيوش في سيدي فرج 1830 إن هذا الغزو يستند إلى أهم الأوامر وأكثرها ارتباطا بالأمن العام في فرنسا بل وفي أوروبا افتتاح سوق كبرى لتصريف السلع الفائضة عن شعبنا، وبيع منتجات مصانعنا لقاء الحصول على منتجات أخرى غريبة عن أرضنا ومناخنا⁽²⁰⁾.

هذه حقيقة الاستعمار أما تلك الحجة الواهية التي احتجت بها فرنسا وهي الانتقام للشرف الفرنسي المهان، فلا أساس لها من الصحة ولأجل تحقيق هذه الأهداف استعمل القادة الفرنسيون كل الوسائل البشعة التي تزرع الرعب في النفوس وتشمئز منها الأنظار والأسماع، جاء في رسائل مارشال المستقبل (سان أرنو) "لقد تركت بعد مروري حريقا هائلا فقد كانت القرى كلها وهي قرابة مائتين قد أحرقت وعاث الفساد في بساتينها وقطعت أشجار زيتونها (القبلي الصغير ماي 1851)، ومن كبار المجرمين الجنرال لامورسيال" الذي فاقت جرائمه الحربية غيرها، فقد جاء في (رسائل جندي) للكولونيل مونتانيك قوله : "يعيش لامورسيار، فمثل هذا اسمه الصيد بذكاء وهناء... هو الذي اقلع العرب من مخابنهم في دائرة من خمسة وعشرين ميلا" وسلبهم جميع ما يملكون من نساء، وأطفال وقطعان ماشية إلخ ... وفي منطقة معسكر في السابع عشر من كانون الثاني (جانفي) 1842 لاحقنا العدو وانتزعنا منه النساء والأولاد والماشية والقمح والشعير..."

لقد أباد ثلاثة ضباط فرنسيون هم (كافنيك، وبيليسييه وسان أرنو) في سنة واحدة وفي ثلاث نقاط مختلفة ثلاث قبائل عن بكرة أبيها رجال ونساء وأطفال، حين التجأت إلى المغائر وذلك بإحراقهم وخنقهم بالغاز وهم أحياء⁽²¹⁾.

وفي 19 من حيزران (جوان) 1845 التجأت قبيلة ولد رياح بعد أن طردتها كتائب بوجو المحرقة من قراها إلى مغارة، فعمدا الكولونيل بيليسييه إلى إشعال النار

في فوهة المغارة طوال النهار والليل وإليك رواية شاهد عيان: من ذا الذي يستطيع وصف هذه اللوحة؟ أن ترى في منتصف الليل وفي ضوء القمر، كتيبة من الجيوش الفرنسية تضرم نار جهنم كلما خبت وأن تسمع الأنين الخافت لرجال ونساء وأطفال وحيوانات وتمزق الصخور المتكلسة التي تنتشق وتنهار وكان ذلك بأمر الجنرال بوجو⁽²²⁾.

هذه بعض النماذج من بشاعة الاستعمار ووحشيته، وهدفه زرع الرعب في نفوس الباقين أحياء حتى تقهر وتذل، هكذا أرادت فرنسا أن تجعل من الشعب الجزائري عبيدا أذلاء أجراء منعدمي السيادة والشخصية، فأين ذلك كله من تسامح الأمير عبدالقادر وإنسانيته وعدله، لطالما وجد من أبناء هذا الوطن على مر العصور، من ضرب للعالم أروع الامثلة في البطولات والشجاعة والسماحة ومعاني الإنسانية السامية منذ ماسينيسا ويوغرطة وطارق بن زياد إلى الأمير عبدالقادر...

2-فترة الأسر والإقامة بفرنسا : (1847-1853) تعد هذه الفترة من أصعب الفترات وأحلكها في حياة الأمير عبد القادر وذلك منذ ركوبه السفينة (اسمودس) يوم 25 ديسمبر 1847 إلى أن جاءه أمر نابليون الثالث يوم 16 أكتوبر 1852 الذي يقول فيه : عبدالقادر إنني قادم لأعلن لك حريتك إنك ستحمل إلى بروسة في منطقة السلطان حالما تنتهي الإجراءات الضرورية وستخصص لك الحكومة الفرنسية مرتبا يليق بمكانتك القديمة، ومنذ وقت طويل واسرك يسبب لي ضيقا حقيقيا⁽²³⁾ وبهذا القرار يكون نابليون الثالث قد أنقذ الشرف الفرنسي بإنجاز ما وعد به أسلافه بالرغم من الاعتراضات والحذر التي قدمها الضباط والوزراء إلا أن نابليون الثالث كان مصمما وأما الأمير عبدالقادر فقد غمر قلبه بالاعتراف بالجميل فانطلقت مشاعره بالشكر⁽²⁴⁾.

نعم كانت الفترة من أصعب ما واجه الأمير عبدالقادر في حياته ومع ذلك فقد بقي في كامل قوته وعزيمته رابط الجأش قوي الشكيمة متمسكا بالله صابرا لقضاء الله وقدره، وكان اثناء هذه الفترة دائم الصبر ناصحا لمن معه بالصبر والتوكل على الله زارعا الأمل في نفوسهم، واعداء إياهم بالفرج، محتسبا أمره الله، وقد جاءه في اليوم

التالي لسجنه الجنرال دumas مكلفا رسميا من ملك الفرنسيين يعرض عليه مكانة مرموقة في فرنسا : قصر ملكي وحرس شرفي وكل الأهبة والحاشية الجديرة بأمر، ولكن الأمير أجابه بصوت حاد: لو كنت ستأتي إلي باسم ملكك بكل ثروات فرنسا ملايين وألماسا وكان يمكنك أن تضعها جميعا في طرفي برنسي فإنني أفضل أن أرمي بها جميعا في الحال في هذا البحر الذي يغسل جدران سجنني على أن أعيد إليكم الوعد الذي أعطي لي رسميا....⁽²⁵⁾ هكذا بقي الأمير عبدالقادر مصرا على مواقفه وفيما لمبادنه وسعى بكل قواه أن يدافع عن قضيته ويبين لزواره حقيقة أمره؛ وأنه لم يؤخذ أسيرا وإنما جاء بشروط تعهد بالإيفاء بها الجنرال لامورسيار باسم الحكومة الفرنسية كما جعل من وجوده في فرنسا رسول سلام ومحبة، فلم يجبن ولم يخضع بل ظل شامخا مهاب الجانب، ويستقبل زواره يوميا ويخوض معهم في أحاديث متنوعة كل حسب توجهاته واهتماماته، يحدث العسكريين والسياسيين والصحافيين ورجال الدين المسيحي فيقنعهم ويجلب عطفهم ومودتهم.

لقد فتح صفحة جديدة في حياته، انتهت مهمته في وطنه قاندا عسكريا حاملا لواء الجهاد في سبيل الله والوطن، وابتدأت مهمة جديدة بادية الصفحة للعيان وإن تجاهلها البعض أو جهلها، أو مر عليها البعض الآخر مرور الكرام، إنها مهمة الدفاع عن الإسلام والمسلمين وبيان فضائله وشيمه في مجتمع لا يعرف عن الإسلام إلا أنه دين يحمل سفك الدماء بعيد عن الحضارة والرقي إلى غير ذلك من الأوصاف التي رمى بها أعداء الإسلام الإسلام والمسلمين، لهذه المهام النبيلة نذر عبدالقادر نفسه طوال بقائه في فرنسا، ولقد جاء في الرسالة التي وجهها الجنرال دumas المرافق الدائم للأمير عبدالقادر إلى دوبوش أسقف مدينة الجزائر "إنك في ذهابك لزيارة هذه الشخصية النبيلة السامية ستضيف عملا آخر صالحا إلى أعمالك الأخرى التي أصبحت حياتك متميزة بها"⁽²⁶⁾

وحدث أن اتهم أحد القساوسة الاسلام بأنه لا ينهى عن الغدر والخيانة وما إلى ذلك فحاجه الأمير فلم يقتنع فألف رسالة وبعث بها إليه هي كتابه المقرض الحاد

لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد، ركز فيها على ما يأمر به الإسلام من وفاء بالعهد ورعاية الحقوق ومحافظة على الأخلاق الكريمة والسجيا الطيبة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يزل يكثر في كتابه من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الحكماء مبينا فضل الإسلام على سائر الأديان وعالمية الرسالة المحمدية ولم ينس التنويه بالعرب وذكر خصالهم في جاهليتهم والإسلام(27)، مما جعل هذا القس يتعجب منه فهو بالرغم من الحالة التي هو عليها لم يفرط في دينه، ولما خرج من عند الأمير قصد كنيسته واجتمع ببعض القسيسين الذين كانوا في انتظاره ليطلعهم على ما دار بينه وبين الأمير فقال لهم : "أحمد المسيح أني نجوت ولو بقيت مع الأمير ولو مدة وجيزة أخرى لجعل مني مسلما يدافع عن الإسلام ويعادي النصرانية(28)".

ولقد وجهت إليه أسئلة عدة من المستشرقين ورجال الدين المسيحي تتعلق بقضايا تخص الإسلام والمسلمين فكانت إجاباته تنم عن غزارة علمه ومعرفته الدقيقة وحسن نباهته وسرعة بدهته : وهذا ما جعل كبير القساوسة يقول إن المسيحية مازالت بخير، لو بقي الأمير في فرنسا أكثر من المدة التي أقامها بين ظهرانيها لتمكن من أن يجلب للإسلام العدد الكثير من النصارى... وتكلم مطران أمبواز فقال إنني خفت خوفا من هذا الرجل أن يستهوي قلوب النصارى ألا تسمعون للمؤذن قرعة محمد في كل أوقات صلواتهم ليلا ونهارا يؤذن للصلاة....(29).

لقد كانت أمام الأمير مهمتان أثناء إقامته في فرنسا : الأولى سياسية دبلوماسية وهي محاولته إشعار الحكومة الفرنسية أنذاك بالذنب نحوه لعدم إيفائها بالوعد الذي أعطته إياه وهو نقله إلى الإسكندرية أو عكا حسبما جاء في الوثيقة التي أمضاها لامورسيار وابن الملك ومن أجل هذه المهمة سخر جميع طاقاته الفكرية وسمع صوته إلى عدة جهات سياسية وعسكرية وفكرية مؤكدا كثيرا على سمعة فرنسا وشرفها وعظمتها ولقد كانت هذه الفكرة أي فكرة الشرف والعظمة لها صداها السياسي في إمبراطوريات أوروبا كفرنسا وانكلترا... والمهمة الثانية هي الدفاع عن الإسلام وبيان

فضائله وعالمية رسالته : وقد كان الأمير في سلوكه وأخلاقه وسائر أفعاله نموذجاً فريداً لرسالة الإسلام التي يدافع عنها فصبره وأخلاقه وعفته ومواظبته على القيام بشعائر الدين كل ذلك جعله محل إعجاب الذين زاروه، فكان يؤدي صلواته بأذان وإقامة وجماعة، وصلى في أماكن عدة بفرنسا في لامالق وأمبواز وقلعة بو وفي ساحات فرنسا وفي العديد من مؤسساتها وكان الحاضرون يعجبون أيما إعجاب بما يرون و يسمعون منه حتى قال أحد القساوسة (إن وجود الأمير بين ظهرانينا خطر عظيم ويجب علينا جميعاً أن نجهز جميع إمكاناتنا لكي يسمح له بالخروج من فرنسا، وأن كابرت الحكومة وأصررت على أن تبقى بمنفاه، فسيحل بنا ما حل بالأراضي الإسبانية يوم افتتحتها العرب وعمرها فيها ثمانية قرون بأكملها⁽³⁰⁾).

3-فترة الانتقال إلى الشرق والإقامة بدمشق (1853-1883)

ما إن استقر الأمير بدمشق حتى استعاد نشاطه وأحس في نفسه أن مهمته التي تنتظره هي الدراسة والتدريس لقد قضى الأمير في دمشق سبعة وعشرين عاماً (1853-1883)، كان في هذه المدة محط اهتمام العلماء والمثقفين والسياسيين وأهل الفكر وطلاب العلم كل يحاول التقرب منه لغرض من الأغراض، وتحلق حوله بالجامع الأموي الكبير حوالي ستين عالماً وطالبا كانوا يجتمعون إليه يومياً للاستماع إلى علمه؛ وربما خالف علماء المشرق في تلك الفترة في إعتقادهم على إلزام الطلبة بحفظ المتن والوقوف على آراء القدماء من غير إجابة فكر أو مخالفة في رأي أو استنباطات جديدة تملئها روح العصر، فإن الأمير عبدالقادر أثناء تدريسه كان يشرح ويعقب ويدلي بأرائه، ويلتمس الحجج لها، لذلك شد الانتباه إليه وتصوبت العقول نحوه تغرف من معينه، كما كان يختار لطلابه نصوصاً من فلسفة أفلاطون وأرسطو ويقرأها قراءة جديدة تخرجها من الإطار الذي وضعها فيه الأقدمون فيزرع فيها الحياة ويستثمرها استثماراً جديداً ينضاف إلى رصيد الثقافة العربية الإسلامية، وبالجملة فإن الروح الجديدة التي أضفاها على دروسه هي نتيجة خبرته وتنقلاته وإطلاعه الفكري

على الثقافة الأوروبية يمثله سلوك من قابلهم وتحدث إليهم في فرنسا أكثر مما عرفه عن هذه الثقافة من الكتب والمؤلفات...

أما اطلاعه على التراث العربي الإسلامي فإنه يمتد عبر جميع مراحل حياته، فكانت أول فترة انقطع فيها للعلم هي بعد رجوعه من مكة مع والده، حيث اعتزل مدة ليكتشف ذلك الفيض الغزير من المعرفة من مطالعته أكثر مما تعلمه من شيوخه بوهران إلا أن فترة مجالسته العلماء والأولياء بوهران والتي لا تتجاوز السنتين؛ وما تلاها من إقامة قصيرة في بلاد الشرق (بين مكة والمدينة والشام والعراق)، قد أعطته المفاتيح فانفتحت أمامه آفاق رحبة صادفت عقلا صافيا وذاكرة حية غضة صقلتها طبيعة البادية وصفأوها فراح يعب من منابع العرفان ما استطاع إليه سبيلا؛ وأضاف إلى ذلك كله معارف جديدة وإضافات رائعة أثناء إقامته بفرنسا وقد شعر في قرارة نفسه أنه بحاجة إلى الاستزادة من المعرفة وهما هو الآن في دمشق فالظروف مواتية والتراث في متناوله فدرس الصحيحين (البخاري ومسلم) وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، وكتاب الإتيقان للسيوطي، وكان من قبل في بروسة قد درس ألفية ابن مالك بشرح المكودي الفاسي المالكي⁽³¹⁾ والإبريز في مناقب سيدي عبدا لعزیز⁽³²⁾ حيث جمع فيه مؤلفه ما سمعه من شيخه عبدا لعزیز بن مسعود أحمد الدباغ المنتهي نسبه إلى الإمام الحسن السبط، وأما كتابه ذكرى العاقل وتنبيه الغافل فقد ألفه حين أخبر أن علماء باريس كتبوا اسمه في دفتر العلماء، وأصبح عضوا في المجمع العلمي الفرنسي فأشار إليه بعض محبيه بإرسال بعض الرسائل إليهم فكتب هذه العجالة متأثرا بما قرأه من الفلسفة وما استفاده من مجالسة بعض علماء باريس أثناء زيارتهم إياه بقصر أمبواز؛ وقد حث في هذه الرسالة على النظر ودم التقليد، وعقد بابا في فضل العلم والعلماء وآخر في العلم الشرعي وثالثا في فضل الكتابة.

ومن العلماء الملازمين له في دمشق المهمتين بمجالسه العلمية : الشيخ عبدا لرزاق البيطار والشيخ محمد الهاني والشيخ الطنطاوي وقد رجوه أن يدونوا ما يتكلم

به في مجالسه فكان ذلك نواة الكتاب الصوفي الشهير الذي عرف (بالمواقف) وسيأتي ذكره (33).

ولعل أبرز عمل قام به الأمير عبدالقادر هو موقفه الرائع من الفتنة التي وقعت في لبنان بين الدروز والمسيحيين وامتدت إلى دمشق وذلك في سنة 1860م، فقد جمع الأمير عبدالقادر العلماء والأعيان ووجهاء وخطب فيهم، مبينا لهم أن الإسلام يأبى ذلك..... وكان السبب في إنقاذ حوالي خمسة عشرة ألف شخص من المسيحيين بما فيهم سفراء وقناصل الدول الغربية وقد دامت هذه الفتنة حوالي سبعة أيام متوالية، وقد أرسلت فرنسا عشرة آلاف جندي إلى بيروت تحت قيادة الجنرال بوفور وقد بعث إلى الأمير عبدالقادر يخبره بأنه عازم على ضرب دمشق من الصالحية فليخرج بأهله، فبعث له الأمير يطلب لقاءه بالبقاع وعين له محل اللقاء، وسار الأمير ليلا واجتمع بالجنرال وأظهر له سوء عاقبة ما اعتمد عليه، وما زال به إلى جعله يعدل عن رأيه (34).

إن هذا العمل الذي قام به الأمير عبدالقادر زاده رفعة وأعلى شأنه بين الناس بل في جميع الدول وكتبت عنه الصحف العالمية كثيرا، وتلقى الأمير النياشين والأوسمة ورسائل الشكر والعرفان من جميع كبريات الدول والأشخاص والعلماء وأهل الفكر، فزاد ذلك في أبعاد شخصيته الإنسانية شرفا وعلو همة، وقد فسر البعض عمل الأمير عبدالقادر بدافع اتصاله بالجمعية الماسونية؛ ومن الذين يربطونه بالماسونية شارل هنري تشرشل، والحقيقة أن أخلاقه الإسلامية الرفيعة هي التي هدته إلى القيام بهذا العمل الجليل؛ لذلك رأى الهجوم على النصارى في لبنان وسوريا وقتال المسلمين إياهم لا وجه من أوجه الشرع يستسيغه فلا هو دفع لضرر جاء منهم وهم قلة وسط كثرة من المسلمين ولا هو طمع في إدخالهم إلى الإسلام وهم أهل كتاب لا يكرهون على ذلك ولا يغضبون، لذلك وقف ضد قتالهم بل وقام لإنقاذهم بسلاحه وفتح بيته للفارين منهم إليه، والمطلع على كتابه (المقراض الحاد) يدرك تمام الإدراك أن أعماله وأخلاقه وأراءه إنما كانت نابعة من جوهر الدين الإسلامي لذلك قال في

خطابه لخاصة أهل دمشق عند وقوع الفتنة بها (إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجل وأقدس من أن يكون خنجر جهالة أو معول طيش، أو صرخات نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم.... أحرصكم أن تجعلوا لشیطان الجهل فيكم نصيبا، أو يكون له على نفوسكم سبيلا)⁽³⁵⁾.

الأمير عبدالقادر والماسونية

توجه الأمير عبدالقادر إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج وذلك في سنة 1862 وقضى بها اثني عشرة شهرا مجاورا يتعبد الله في حجرته لا يغادرها إلا إلى المسجد، عكف على الدراسة والعبادة، فأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي المجاور بمكة ثم انتقل إلى المدينة المنورة ومكث بها أربعة أشهر إلى غاية 1864 متابعاً عمله الصوفي الذي بدأه في مكة فقيوت معارفه الإلهية وانكشفت له الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية كما يذكر هو في كتابه المواقف الذي يبدو أن الاهتمام به والتفكير فيه قد صاحب الأمير عبدالقادر منذ مراحل شبابه الأولى ولم تسمح الظروف بإنجازه إلا بعد رحلته الأخيرة إلى البقاع المقدسة.

ويذكر تشرشل أنه لما أقفل راجعا إلى دمشق مرّ بالإسكندرية في جوان 1864 وصادف ذلك عقد اجتماع المحفل الماسوني (محفل الأهرام)، وأدخل عبدالقادر في هذا النظام الصوفي الغامض، وقد أضيفت إلى (ميزة مجاور النبي)، ميزة أخرى هي (ماسوني حر ومقبول)⁽³⁶⁾.

هل كان عبدالقادر ماسونيا؟

لقد ذكر تشرشل الماسونية بصفات دالة على المدح وعلى اعتبارها شرفا عظيما توج حياة الأمير عبدالقادر، فهل كانت الماسونية كذلك وهناك غيره من أدعى هذا الادعاء على الأمير عبدالقادر والملاحظ أن هذا الفصل الأخير الذي تحدث فيه تشرشل عن دخول الأمير عبدالقادر عالم الماسونية لم يدونه تشرشل من إملاء الأمير كما هو الشأن بالنسبة للفصول الأخرى، لأن تشرشل غادر دمشق في ربيع 1860⁽³⁷⁾ وهذا يعني أن أخبار الفتنة وأخبار الانتماء إلى الماسونية قد وصلتته من جهات.... ثم

إن كتاب تحفة الزائر وهو من أوفى المصادر التاريخية إلى الأمير عبدالقادر لم يذكر ذلك، فلو كانت الماسونية شرفا أضيف إلى الأمير لكان صاحب التحفة سابقا إلى ذكره، ولعل ذلك من تلفيقات بعض الذين حسدوا الأمير على مكانته الرفيعة وقيّمته العالية التي حازها بأعماله الجليلة وصبره الجميل، وقد ذكر حفيده في مقالة بمجلة الحقائق بدمشق وهو الأمير محمد سعيد الجزائري، أن الأمير عبدالقادر وهو عائد من المشرق إلى سوريا مارا بالإسكندرية اغتئم أعضاء هذه الجمعية (الأهرام) فرصة وجوده وتقدموا إليه عارضين عليه مبادئ الماسونية، شكرها الأمير على عملها الذي تدعيه فاتخذ بعض المنتمين للجمعية ذلك الاجتماع ذريعة حسنة لنسب دخول الأمير في جمعيتهم⁽³⁸⁾.

ولكن بالنظر إلى شخصية الأمير عبدالقادر القوية التي لم تضعف أمام الأحداث الجسام، وبالنظر إلى المساومات التي تعرض لها بفرنسا، وبالنظر أيضا إلى تربيته الدينية وتمسكه الشديد بإسلامه فهو الرجل العربي الجزائري المسلم المالكي المذهب المتصوف لا يمكنه أبدا أن يزج بنفسه في تنظيم غامض على حد تعبير تشرشل نفسه⁽³⁹⁾، وهل كان عبدالقادر من السذاجة والبساطة إلى هذه الدرجة؛ قبل خروج الأمير من فرنسا أقيمت له حفلات وزار منشآت باريس الكبرى، مؤسسات ومصانع ومتاحف وقصور وهو متمسك بشخصيته العربية الإسلامية مظهرا للناس أصالته الإسلامية في مظهره وآرائه وتأدية شعائر دينيه كل ذلك يوحى أنه من الصعب التسليم بهذا الإدعاء، لقد كان الأمير عبدالقادر رسول سلام ومحبة وفق مكوناته الفكرية والشخصية التي صنعها الإسلام فيه فهو الرجل العربي المسلم الذي عاش طوال حياته معتزا بإسلامه وعرويته في شموخ وكبرياء لا يميلان به إلى الجور والتكبر وفي تسامح لا يسف به إلى التواضع المهين.



هوامش وإحالات

- 1- ينظر الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا فؤاد صالح السيد المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط/1985/ص: 33
- 2- ينظر الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه، محمد السيد محمد علي الوزير، المؤسسة الوطنية للكتاب ط/1986/ص: 15.
- 3- ينظر المنجد في اللغة والإعلام ط: 11/1986 المكتبة المشرقية بيروت ص/ 642.
- 4- ينظر الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثرها في أدبه ص: 17.
- 5- ينظر تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر محمد بن عبد القادر الجزائري ط2/1964/ دار اليقظة العربية ج2/ص 928-929.
- 6- ينظر الحركة الوطنية الجزائرية أبو القاسم سعد الله ط3/1983 ج 40/2 و 41 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
- 7- ينظر الأمير عبد القادر متصوفا . وشاعرا ص 40-41.
- 8- ينظر حياة الأمير عبد القادر ، لشارل هنري تشرشل ترجمة أبي القاسم سعد الله ط3/1992. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص: 34 وما بعدها.
- 9- تشرشل ص: 92.
- 10- شرشل ص : 262
- 11- تشرشل ص: 262.
- 12- تشرشل ص: 262
- 13- تشرشل ص: 263
- 14- تشرشل : 264
- 15- ينظر تشرشل ص: 269
- 16- الحرب والحضارة بسام العسلي المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط1/1979 ص: 159
- 17- تشرشل ص. 315
- 18- ينظر تاريخ الجزائر مجاهد مسعود ج1/182
- 19- في سبيل حوار الحضارات روجي قارودي ترجمة د/عادل العوا منشورات دار عويدات بيروت ط1/1978 ص: 68
- 20- المرجع السابق ص 69 .
- 21- المرجع السابق ص: 72 إلى 76.
- 22- تشرشل ص: 338
- 23- تشرشل: 339،

24-تشرشل ص: 321-322.

25-تشرشل ص. 329.

26-ينظر المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد الأمير عبد القادر الجزائري دار الطاسيلي للنشر والتوزيع ط/1989 ص: 188 ومابعدھا.

27-ينظر تاريخ الجزائر ج1/79، 80

28-ينظر تاريخ الجزائر ج1/409

29-تاريخ الجزائر ج2/381

30-أبو زيد عبد الرحمن بن علي المكودي الفاسي المالكي ينظر الأمير عبد القادر متصوف وشاعرا ص: 66 هامش2

31-العلامة أحمد بن المبارك اللمطي السجلماني الفاسي ينظر المرجع السابق ص: 66 هامش4

32- الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا ص. 71.

33-تحفة الزائر ص: 635

34- الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا ص. 192.

35-تشرشل ص: 371

36-تشرشل 59 المقدمة.

37-الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا ص: 26

38-تشرشل ص: 371.